المبحث الثالث:

المشاجرة

حين يكبر الطفل يتعلم كيف يجعل احتجاجه أكثر تأثيرًا، فالطفل الذي يبلغ العام من عمره يسمح للراشد أن يأخذ لعبته من يده، ثم بعد عام من ذلك يجري مبتعدًا لكي يتجب انتزاعها منه، ولكنه سيحاول بعد ستة أشهر من ذلك أن يضرب خصمه، فإذا لم ينجح في ذلك فإنه سيجري مبتعدًا، وهو يصرخ للحصول على مساعدة من غيره. وكلما تقدم في العمر، يتكشف نضاله عن أساليب مختلفة؛ وفقًا لدور النمو الذي بلغه، فالطفل المشاكس يعبر عن مشاكسته هذه بالرقاد على الأرض والبكاء والرفس، ولكن كل ذلك يتحول في محيط الفتيات الصغيرات إلى مظاهر أخرى كالسباب والسخرية.

❖ **العوامل التي تؤدي إلى مشاجرات الأطفال:**

❖ **الطفل ذو النزعة العدوانية:**

هذا الطفل لا يضطهد إخوته أو أخواته فقط، بل يضطهد أطفال الآخرين سواء في الحي أو المدرسة، إذا وجد أن في استطاعته أن يفعل ذلك دون عقاب، حتى إذا عوقب فإنه لا يرتدع، بل يتمادى في إيذاء الآخرين، وقد يتلذذ بذلك، وعادة ما ينشأ توتر شديد بين هذا الطفل وبين والديه ومعلميه.

❖ **الطفل ذو النزعة الاستفزازية:**

هناك نوع آخر من الأطفال يعاني حالات مزمنة، ذلك حينما يدفعه شعوره بالعداء إلى البحث عن المتاعب ، فهو بطبيعة تكوينه يعمل على استفزاز الأطفال الآخرين فيدفعهم - مُرغمين - إلى اضطهاده ومبادلته العدوان بالعدوان، وغالبا ما ينتهي به الأمر إلى الظهور بمظهر الحمل الوديع، أو الضحية المجني عليها (كبش فداء SCAPEGOUT).

❖ **الأم المريضة بحالات الضيق الغامض:**

أمهات كثيرات تبدين الرغبة في أن يعم ويسود الهدوء أرجاء المنزل، وبعضهن يثابرن لتحقيق هذا المأرب، غير أن بعضهن لايفعلن شيئًا سوى التظاهر بإصدار الأوامر إلى أطفالهن بالتوقف عن الشجار، ولكن نبرات أصواتهن لا تحمل طابع الإقناع، كما أنهن لا يتابعن تنفيذ الأوامر إلى النهاية، وبذلك لا يصلن مع الأطفال إلى أية نتيجة، بل إنهن يكدن يتفاخرن بهذا الشغب في حديثهن إلى الصديقات أو الأقارب - وفي حضور الأطفال أنفسهم - وهذه الحالة التي تظهر لدى بعض الأمهات تمثل نوعًا من الاستسلام الغامض للشعور بالضيق والكدر، تحمله الأم عادة في أعماقها منذ طفولتها، التي كانت - بلاشك - طفولة مليئة بالضجيج والصخب.

❖ **مواقف الإحباط:**

المعروف أن الإحباط FRUSTRATION هو المنع أو الإعاقة، ويحبط الفرد عندما يعاق إشباع حاجاته، وعلى ذلك فالاستجابات إلى المشاجرات تظهر عند الطفل كرد فعل للمواقف الاحباطية، أو مواقف التنافس المتعددة التي لابد أن يمر بها، ولا يمكن تفاديها بين الإخوة أو الأتراب، فقد يتنافس الإخوة على اجتذاب حب الوالدين واهتمامهما، فإذا ظهر لأحدهما أن الآخر قد حظى بمزايا أكثر مما حظي به هو، فقد ينقلب عليه غاضبًا ومنتقمًا، كذلك يثير الشعور بالإحباط عند الطفل، تلك الالتزامات المتعددة التي يفرضها عليه الوالدان، كإلزام الطفل بالسكون والهدوء وعدم الحركة، أو بأن يرتدي ثيابه بنفسه، بعد أن كان يجد مساعدة من والديه في ارتدائها.

وعندما يحبط الوالدان، يتنابهما شعور بالتوتر والضيق، وبالتالي يظهر أثر الإحباط على هيئة عدوان AGGRESSION يوجه على الفور نحو الأطفال، وعلى هذا يشعر الطفل أن والده أو والدته انما يضطهده، فيحاول أن يرد

العدوان، وفي هذه الحالة لا يوجه العدوان إلى مصدر الاحباط الاصلي، الذي يتمثل في الوالدين، لأن الطفل لا يستطيع أن يوجه إليهما العدوان مباشرة، لذلك فإن العدوان يُزاح إلى مصدر آخر، يتمكن الطفل أن يعبر عن عدوانيته تجاهه، وهو في مأمن، فيختار أحد إخوته الصغار ليوجه إليه عدوانيته المكبوتة، ومن ثم تحدث المشاجرات.

والطفل الذي يعاني من إحباط شديد لمدة طويلة، فإن عدم قدرته على إنجاز هدفه قد يؤدي إلى شعوره بالفشل والقلق كما أن سلوكه في حل مشاكله الخاصة بتحقيق الهدف قد يستبدل بسلوك هدفه الدفاع عن مفهوم الذات لديه، وعن التهديدات المتصلة بالتقدير أو الاحترام الشخصي. وفي غمار هذا الدافع الذاتي، قد يتكون لدى الفرد، أو تتدعم لديه استجابات لبعض السمات الشخصية كعدم الرغبة في التعاون مع الآخرين والمنافسة ورفض الغير، ومن بين ردود الأفعال الدفاعية في مواقف الإحباط "العدوان"، الذي يأخذ شكل إحساس بالغضب، وأفعال متصلة بالتهيج، والحركات الجسمية العنيفة الموجهة ضد الناس عن طريق التشاجر.

❖ مواقف الغيرة :

يعتبر عامل الغيرة من أقوى العوامل التي تؤدي إلى المشاجرات بين الأطفال؛ فالطفل يريد إلى حد بعيد أن يتأثر بحب والديه له، وهو يخاف خوفًا شديدًا من أن ينتقص الحب الذي كان يمنحانه إياه، والذي قد يوجه نحو إخوته، وهذا الخوف أو القلق مدعاة لأن يشعر الطفل بالشك والارتياب فيهما، والحنق عليهما. غير أن درجة هذا الشعور تتفاوت تفاوتًا كبيرًا؛ فالطفل الأكبر الذي ظل وحيد والديه يستأثر بحبهما وعطفهما مدة طويلة، يتكدر لمقدم طفل آخر، يعتقد معه أنه سوف ينتزع منه الحب والإيثار اللذين كان يتمتع بهما قبل مقدمه، وعلى ذلك لابد للوالدين أن يراعيا - قدر الإمكان - أن تكون تصرفاتهما محسوبة بدقة، فلا ينبغي تدليل الطفل المولود حديثًا أثناء تواجد أخيه الاكبر، الذي ظل

سنوات طويلة ينال رعاية متميزة، ونود أن نشير في هذا الخصوص أن عنصر الغيرة والتملك في الحبأ ليس بالأمر المعيب، الذي يؤسف له في شخصية الإنسان، بل إنه جزء مهم من جوهرنا كبشر، نحيا بالحب، ونعيش على الإيثار والتقدير، وبلا هذا أو ذاك لأصبحت العلاقات بين البشر مجرد علاقات عارضة بلا جذور أو أعماق، كل ما في الأمر هو الاعتدال والتوازن.

والأطفال المتقاربون في العمر هم أكثر الأطفال ميلاً إلى الشجار، بحكم أنهم يوضعون جنبًا إلى جنب في ترتيبات الأسرة، كما أنهم يهتمون باللُّعب والأدوات نفسها، والرفاق والأصحاب أنفسهم، وكل هذه الأمور تؤدي إلى كثرة المشاحنات فيما بينهم.

وحسب شخصية الطفل ومزاجه أو بنيانه الجسمي، يتوقف كثير من مشاجرات الأطفال، فالأطفال الأكبر سنًّا والأقوى بنية يضربون الآخرين أو يدفعونهم، أما الاطفال الذين لا يبلغون هذا القدر من القوة أو البأس... فإنهم يتسللون خفية يدمرون، ثم ينطلقون مبتعدين.

والمعروف أن الأطفال يولدون، وعندهم ميل إلى السماحة واللطف، على حين أن البعض الآخر يميل إلى تأكيد الذات، وهؤلاء الأطفال الميالون إلى تأكيد ذواتهم، هم الذين يحتمل أن يثيروا ضجة أكثر من غيرهم، إذا شعروا بأنهم فقدوا مكانتهم المتميزة في الأسرة.

كما أن الطفل بطئ التفكير وسط أسر لماحة متوقدة الذكاء، أوالطفل قصير القامة بين إخوة له طوال القامة، أو الفتاة التي ينجبها أبوان يفضلان البنين، هؤلاء يتنابهم شعور جارف بالغيرة، إذا كانت ظروف التربية أو التنشئة في الأسرة أو المدرسة تساعد على احتدام المنافسة بين الأطفال؛ وبالتالي تزكية الشعور بالغيرة، الذي يؤدي إلى نشوب المشاحنات.

وقد نبادر فنقول: إن عدم التكافؤ في حب الوالدين لاثنين من أطفالهما من العوامل التي تولد الغيرة، وواقع الأمر أن معظم الآباء والأمهات يتفانون في حب

أطفالهم على السواء، غير أنه من المحال أن تستمع الأم مثلاً بصحبة اثنين من أطفالها، أو أن تتكدر من تصرفاتهما بالطريقة نفسها تمامًا، لذلك لا ينبغي أن تحاول الأم معاملة الطفلين المعاملة نفسها بالضبط، فتعطي كلا منهما لحظات الاهتمام نفسها، وعدد الابتسامات نفسه.

وهناك حقيقة يجب أن ندركها، وهي أن الأطفال على المدى البعيد لا يحبون أن تُعقد مقارنات بينهم وبين غيرهم، حتى وإن كانت هذه المقارنات في صالحهم، فإن أكثر ما يرغب فيه الطفل، هو أن يحبه أبواه ويستمتعا بصحبته لذاته هو فقط، ونذكر أن أبسط السبل التي تثير بها الأم غيرة الطفل، هي أن تسعى دائما لتقارن بينه وبين أخيه الذي قد تؤثره عليه، وهذا المنحى يجعل الطفل يحس بأنه لا يحظى بحب أمه له، ومن ثم يشعر بالكراهية تجاه أخيه.

وهناك كثير من الأمهات يلجأن إلى نوع آخر من المقارنات - على اعتقاد منهن بأنه قد يمحو إحساس الغيرة من وجدانات أطفالهن، مع أنه في الواقع يثيرها - فهن يحاولن قدر طاقتهن أن يقدمن الهدايا أو اللعب نفسها، فإذا حظى أحد الأطفال بلعبة، يحصل أخيه أيضًا على اللعبة نفسها حجمًا وشكلاً ولونًا، وإذا حصلت إحدى الفتيات على معطف، تحصل الأخرى على واحد مثله تمامًا، حتى وإن لم تكن في حاجة إليه بالفعل، والأم التي تحاول جاهدة أن تلتزم جانب العدل بكل دقة كما أوضحنا، من المفروض ألا تحس أنها مضطرة لشراء اللعبة نفسها للطفلين، أو المعطف نفسه للفتاتين، فلتحاول أن تهدِّد بإعادة اللعبة إلى المتجر؛ لأن الاختيار أولاً وأخيرًا كان اختياره هو، دون تدخل من أحد. وإذا اعترضت الفتاة لأن والدتها لم تبتاع لها معطفًا جديدًا مثل شقيقتها، فما على الأم إلا أن تذكرها بأنها ليست في حاجة بعد إلى معطف جديد.

إن السبيل السليم الذي يجب أن تسلكه الأم، هو أن تتعامل مع كل طفل على أنه فرد له كيانه المستقل، يمتدح إذا أجاد، ويقوم سلوكه متى أخطأ، ويشجع عندما يخفق، ونستمع له إذا تحدث، ونبتاع له الهدايا المناسبة - التي ينتقيها

بنفسه - في مناسبات نجاحه أو أعياد ميلاده، ونحد د له مواعيد ذهابه إلى الفراش؛ بغية الاستيقاظ المبكر لضرورة الذهاب إلى المدرسة في التوقيت المناسب، ونكلفه بواجبات منزلية يشارك فيها؛ حتى نُنَمي إحساسه بالمسؤولية ومشاركته للآخرين بروح التعاون والتفاني وإنكار الذات.

الأسرة ومشاجرات الأطفال:

الطفل الذي يميل إلى التشاجر، هو طفل نشأ في بيئة لا يجد فيها العطف أو الحب، لم يشعر بالأمن والاطمئنان، وبالتالي لم يعرف معنى التضحية والسمو بالأخلاق، مما جعله يميل إلى إتخاذ مواقف عدوانية، كما يميل إلى استغلال الآخرين، وإلى إلحاق الضرر بهم.

ويكتسب الطفل الميل للتشاجر، حينما يشعر أنه غير مرغوب فيه، أو عندما يسود الحياة المنزلية شجار دائم، لا ينقطع بين الزوج والزوجة على مرأى ومسمع منه.

ولموقف الوالدين الأهمية الأولى في هذا الشأن، فعندما يقول الأب لابنه: (اعتمد على نفسك)، أفضل من أن يقول له: (لا تكن عنيفاً) ذلك لأن العبارة الأولى تدفع الطفل إلى حماية نفسه، هذا إذا سلمنا بأن الطفل في حاجة إلى العراك أوالشجار، لكي يعرف جيدًا عدم جدواها أو نفعها.

كما أن العوامل الأسرية تُؤثر في أساليب الشجار أو العداء الذي يتخذه كل طفل لنفسه، فالطفل الذي له أخ يكبره سنًّا، يكون غالبًا أكثر اعتمادًا على قوته في سن مبكرة، من الطفل الذي نشأ في أسرة أفرادها من الفتيات.

ويلعب الآباء دورًا كبيرًا في اكتساب الأطفال السلوك العدواني، الذي يسفر عنه الشجار، من خلال محاكاة الأبناء للاستجابات العدوانية التي تصدر عن الآباء؛ فالطفل الذي يشاهد أباه يحطم كل شيء حوله عندما يتنابه الغضب، يقوم بتقليد هذا السلوك. وقد يحاول بعض الآباء عمدًا تعليم أولادهم - وخاصة الذكور - العدوان للدفاع عن أنفسهم أمام الغير، أو ليكونوا رجالاً في

المستقبل، فأحيانًا ما يقف الأبوان موقفًا متساهلاً، إذا اعتدى طفلهم على طفل آخر من الخارج، وبشيء من الشدة إذا اعتدى على إخوته.

والطفل الذي يعجز تمامًا عن ضبط دوافع العداء، هو الطفل الذي يرى في المنزل هذا العداء ويزاوله، فالأم التي لم تتعود على وسائل أكثر نضجًا للتعبير عن عدائها، قد تضرب طفلها حين يهم هو بضربها، وهي تقول له: (سأعلمك عدم الاعتداء على غيرك)، وهي في الواقع تعلمه العكس تمامًا، تعلمه أن العنف هو الوسيلة الوحيدة لحل المشكلات، وقد يكف الطفل عن ضربها، ولكنه سيثأر من شخص آخر أقل منها قوة وبأسًا، ويتحول إلى طفل لا يمكن بقاؤه، بالقرب من طفل آخر أصغر منه سنًّا.

ويعتقد "باندورا Bandura" أن الآباء الذين يتسمون بالغلظة والقسوة مع ابنائهم يتعلم أبناؤهم السلوك العدواني، كما توصل إلى أن الآباء الذين كانوا يشجعون أبناءهم على المشاجرات مع الآخرين، وعلى الانتقام ممن يعتدى عليهم، والحصول على مطالبهم بالقوة والعنف، كانت درجة العدوانية لديهم أكبر من درجة العدوانية عند الآباء الذين لم يكونوا يشجعون أبناءهم على السلوك العدواني، بأي شكل من الأشكال .

ودلت الدراسات على أن القوة في عقاب الأطفال على عدوانهم في المنزل، من خلال المشاجرات، ترتبط ارتباطا موجبا بمقدار ما يبديه الأطفال من عدوان في خيالاتهم، ومعنى هذا أن الأطفال الذين يشتد آباؤهم في عقابهم، يزداد عندهم العدوان في ألعابهم الوهمية بالدُّمى والعرائس وما إليها.

الأم قد تقف موقف القاضي من مشاجرات الأطفال:

بعض الأمهات غالبًا ما يحاولن أن يقفن من مشاجرات أطفالهن موقف القضاة، فقد تسأل إحدى الأمهات طفلها: من البادىء بالشجار؟ ومن فعل هذا؟ ومن منكم المذنب الحقيقي؟ ويتسابق كل طفل في الإجابة، هذا يتهم، وذاك يدافع، والواقع أن قيام الأم بدور القاضي هو أحد مواطن الخطأ في علاج هذا الظاهرة؛

لأن الطفل سيدرك بفطرته أن كل مشاجرة ما هي إلا فرصة سانحة ينبغي استثمارها كي يثبت أنه الفائز، وأن أمه أو أبيه يستحسن تصرفاته، ويستهجن مسلك أخيه، فالمحاكمة تنتهي دائمًا بإتهام أحد الأبناء وتبرئة الآخر، وهكذا ينقلب المنزل إلى قاعة محكمة، ما بين دفاع واتهام، وبذلك يصبح للشجار هدف أكبر واستهواء أكثر في نظر الطفل، وليس مجرد شجار عادي.

متى.. وكيف.. يتدخل الآباء لفض مشاجرات الأطفال؟

تتلخص الاجابة - بوجه عام - في أنه كلما قلَّ التدخل، حسنت النتيجة، على أنه لا يجب أن نترك الشجار يتجاوز الحدَّ، وأن تتخذ خطوات سريعة لمنع الطفل من الاعتداء على أخيه، وهذه تكون جانبًا من جوانب المراقبة اليومية.

وعندما يشتبك طفلان متعادلان في القوة الجسمانية ومتقاربان كذلك في العمر، فإذا تركناهما يصفيان المشكلة بينهما عن طريق الجدل أو الشد أو الجذب مثلاً لكان أفضل، حيث غالبًا ما يزدادان دراية بكيفية التعامل، أحدهما مع الآخر، أما إذا كان أحد الطفلين أضعف من الآخر، وأن أخاه سوف يتغلب عليه لقوته أو لشدته، فيزداد شعوره بالخوف والتهيب، فلابد من التدخل، ولكن للتوجيه، وتصحيح الأمور، وعقد المصالحات الهادئة بينهما دون تحيز لطفل دون الآخر. وعلى الآباء والأمهات أن يصروا على توقف المشاجرات بين الأطفال، وأن يرفضوا الإصغاء إلى شكواهم أو التماساتهم، فإذا أكدوا فعلاً موقفهم، وعملوا بكل حزم على أن يفضوا مشاجرات أطفالهم، وكذلك إذا عادوا إلى التدخل مرة أخرى في حالة استئناف المشاجرة... فإن الأطفال سوف يقتنعون بهذا الأسلوب، ويذعنون للأوامر والسلطة الوالدية، مثلما يذعنون لجميع الأوامر والنواهي، التي يبدي فيها الآباء والأمهات إصرارًا ومثابرةً.

كما يتطلب الأمر تدخلاً قويا حيال مشاجرات الأطفال، إذا اتضح أن الطفل كان ضحية للمجموعة التي يلعب أو يلهو معها، والإصلاح في هذه الحالة هو ألا يحاول اللعب مع هذه الجماعة لفترة معينة.

أما فيما يتصل بموضوع الاعتداء والتشاجر.. فيمكن تقسيم الآباء والأمهات إلى فريقين: فريق يجد صعوبة في إخفاء كبريائه عندما يهاجم الطفل طفلاً آخر، وفريق يسارع بالوقوف في وجه طفله حتى لا يكون مؤذيًا، ولكن مهما كانت وجهات نظرهم، فإن الغالبية الكبرى منهم لا ترغب أو تحب أ ن ترى أطفالها مُعتدين، ولا ضحايا معتدى عليهم.

مشاجرات الأطفال أمر طبيعي.. ولكن!!

مشاجرات الأطفال –وخصوصًا –الإخوة منهم أمر طبيعي، كما نعتبر المنافسة أمرًا طبيعيًا أيضًا، وإن كان لكل ظاهرة ضوابطها ومعاييرها، ولكن لا ضرر، فوجود الطفل الأكبر وسط إخوة أصغر منه يجعله يحاول السيطرة عليهم فيتشاجرون، والأمر الطبيعي في كل الأسر أن البنين يحاولون السيطرة والتحكم في أخواتهم الفتيات، ونرى أيضًا أن الطفل المتفوق دراسيًا يعاير أخاه أو صديقه المتأخر دراسيًا فيدب الشجار بينهما، هذا بالإضافة إلى المباهاة والزهو إما بلون الشعر أو شكل الجسم أو الوسامة إلى غير ذلك، وقد نرى أن أحد الإخوة قد يتحدى أخاه؛ لكونه مقربًا إلى والديه إما لاتقاد ذكائه أو لعذوبته في الحديث، أو لإمكاناته الفنية أو الرياضية الفذة، فتنشب بالتالي المشاجرات.

وعلى الآباء والأمهات أن يدركوا جيدًا أنه قلما يجتمع أطفال في مكان واحد، سواء أكانوا إخوة أو أصدقاء أم رفاقًا إلاَّ وتشاجروا، ثم لا يلبث أن يعقب كل ذلك تراضٍ وعودة حميدة إلى سابق عهدهم، من الألفة والانسجام واللعب بعضهم مع بعض، وكأن شيئًا لم يحدث والآباء يضجون بمشاجرات الأطفال، يصرخون ويثورون، وقد يعنفونهم ويدمغونهم بأحط الصفات، حاسبين أن شجار الأطفال أمرٌ غير طبيعي، وأنه وقت مناسب لتصفية الحسابات.

وعمومًا.. فإن أسلوب المشاجرات هذا يقل كلما تقدر الطفل في العمر، أما إذا استمر ودام كأسلوب في التعامل فإنه في الواقع يكون انحرافًا سلوكيًا، يستدعى من الوالدين اليقظة والصحوة، والدراسة المتأنية للأسباب والدوافع،

ومن ثمَّ الوصول إلى العلاج المناسب، وننصح بأن يكون هذا الأمر على أيدي بعض المتخصصين في مجال التحليل النفسي.

قد يكون لمشاجرات الأطفال بعض الفوائد!!

الذي قد لا يعرفه البعض أن لمشاجرات الأطفال فوائد، فالشجار هو إحدى الوسائل لإثبات الذات وتأكيدها، وهي من الصفات المهمة اللازمة لنجاح الإنسان في الحياة، كما أن الشجار فرصة للطفل؛ لكي يتعلم بعض الخبرات التي تصقل مواجهته للحياة، ومنها: احترام حقوق الغير، واتباع قيم الحق والعدل، وإدراك معنى الصدق والكذب، واستيعاب أهمية الأخذ والعطاء، والمحافظة على حقوقه وعدم التفريط فيها، إذا كان يحافظ هو الآخر على حقوق الآخرين؛ لذلك يتحتم على الآباء والمربين انتهاز هذه المواقف لتوجيه الأطفال التوجيه التربوي السليم، وأعين على الدوام أن مواقف المشاجرات التي تنشب بين الأطفال، دليل على عدم نضجهم الإجتماعي والوجداني.

حتى لا يصبح الشجار انحرافًا سلوكيًا:

❖ نؤكد دائمًا أن لكل مشكلة علاجًا، ولكن يجدر بنا دائمًا أن نضع نصب أعيننا أن الوقاية خير من العلاج، لاسيما في المجال النفسي، الذي يحتاج إلى وقت طويل للوصول إلى علاج ناجع، كما لا يفوتنا عواقب تلك النكسات، التي قد يتعرض لها المريض النفسي بعد قطع شوطٍ طويل من خطوات العلاج، وحتى بعد الشفاء. لذلك ينبغي مساعدة الطفل في تحقيق رغباته الضرورية، وتهيئة المناخ المناسب لكي ينفس عن مشاعره المكبوتة بمنجزات ابتكارية مفيدة ومثمرة، وذلك بتحول طاقاته الهائلة المختزنة، ونشاطه المفرط، إلى هوايات وأنشطة نافعة كالرسم والموسيقى، أو بقراءة القصص الشيقة، أو بحل الألغاز المثيرة، أو بالإشتراك في نوادي العلوم، أو بتشجيعه على ممارسة الرياضات البدنية التي تتفق مع استعداداته.

هذا... وقد أثبت عديد من الدراسات أن الطفل الذي يميل إلى التشاجر، إنما هو طفل يُعَذِّبه الشعور بالكبت أو القمع، ويؤرقه الاحساس بالإحباط والفشل، ومثل هذه الأنشطة المقترحة تجعله ينفس عن مكبوتاته وإحباطاته بشكل سوي، لأنه يشعر في قرارة نفسه أن هناك شيئًا يفعله ويأمل في إنجازه.

❖ لا يجوز - بحال من الأحوال - العبث بممتلكات الطفل الشخصية أو لعبه أو أدواته، وألا نسمح لإخواته بذلك تحت أي مبرر، كما لا يجوز أن نحرمه منها لأننا في حالة هياج وغضب تجاهه، في الوقت الذي لا ينبغي أن نظهر أمامه بالضعف أو العجز عن اتخاذ القرارات نحوه، ولعل السياسة الثابتة مع الأطفال التي تتسم بالحزم والمرونة معًا تمنعهم من التمادي أو الإتيان بسلوك التشاجر.

❖ الجو الأسري الذي يسوده الوئام والتسامح والتعاون، يساعد على خلق جيل من الأطفال يتسم بالاتزان الانفعالي والاستقرار النفسي، وبالتالي القضاء على مظاهر العدوانية والمشاجرات في مهدها، فيتعلمون من خلال المعاملة الوالديَّة الهادئة والمتأنية، أساليب الإيثار وإنكار الذات وتقدير قيم الولاء والانتماء، فينمون نموًا طبيعيًا سويًا. ولابد أن ننوه في هذا الشأن أن مشاجرات الآباء والأمهات الدائمة، وثورتهم العارمة لأتفه الأسباب، تنعكس على أطفالهم بالعدوانية المفرطة التي تؤهلهم إلى المشاجرات والمشاحنات، وبالتالي فقد تنال من سكينتهم وأمنهم واطمئنانهم، وهي الأمور التي نحذر منها، وعلى ذلك فليراجع الآباء والأمهات أنفسهم ما أمكن، وليقفوا على مواطن الضعف والقصور والإخفاق، ليصلحونها ويقومونها؛ لأن في ذلك وقاية لأطفالنا من داء التشاجر أو التناحر.

كيف نفرق بين الغضب ، والعناد ، وحب المشاجرة في سلوك الطفل قبل وبعد سن الخامسة من عمره؟

حالات الغضب تتطور مع نموه (١ - ٥ سنوات) ولكن الغضب في هذه المرحلة من عمر الطفل يتسم بنوع من الإنفعال ، والذي هو نوع من التنبيه من قبل الطفل لأبويه أو مربيه عندما لا يحققون له رغباته الوظيفية (الأكل - الإخراج - اللبس... الخ) أو إذا عزل وترك بعيداً في مكان غير المكان الذي يجلس فيه أفراد العائلة مثلاً وفي حالة شعور الطفل أنه لم يخص بالحب والاهتمام منهم.

وقد يكون غضب الطفل الإنفعالي نحو أمه مثلاً عندما تريد أن تخلع له ملابسه وتريد تغييرها أو غسلها . ويعبر الطفل عن غضبه بنوع من البكاء وركل الأرض أو أن يرمي بنفسه في الأرض وأيضًا بالصراخ وعض الأصابع .

ولذا نرى أن مثل هذه التصرفات من قبل الطفل هي تصرفات طبيعية ولكن على الأمهات والآباء والمربين أن يهذبوا من هذا السلوك عند الطفل وأن لا يتركوه ينمو ويتوسع . وليس معنى هذا منع الغضب عند الطفل لأن هذا غير منطقي، ولكن عليهم بالحب والحنان والتوجيه السليم له .

وإذا ما حاولنا دراسة أسباب الغضب عند الطفل قبل سن الخامسة، نجده راجع لسوء فهم الطفل من تصرفات من هم أكبر منه في المنزل من أب وأم وأخوات، فالأم تريد طفلها أن يغير ملابسه قبل النوم ويذهب للفراش مبكرًا، أو تريد منه أن يتناول طعامًا معينًا وهو لا يريد ذلك، أو أن يسلك سلوكًا محبذًا في النظافة الشخصية.

كما يمكن أن يلاحظ الغضب عند الطفل إذا فشل في إتمام عمل معين، وهنا يكون غضب الطفل نوعًا من الشعور بالإحباط والتمزق والألم.

وهناك نوع آخر من الأطفال، قد يلجأ للغضب الإنفعالي على أمه بالذات عندما يراها تعتني بمولودها الجديد الذي أحتل الاهتمام والحنان بدلاً منه.

ولكن يجب أن تؤخذ الأمور بهذه البساطة والشمولية في فهم غضب وانفعال الأطفال، فقد يكون الغضب والإنفعال له مبرراته الأخرى عند الطفل مثل مرض الطفل، وهزاله أو إصابته بالبرد أو الحمى والتهاب حنجرته أو وجود جرح في مكان من جسمه ولذا لا بد من الاهتمام والملاحظة والمتابعة لغضب الطفل وعناده، لأن الإهمال لمرض الطفل يجعله يتطور بسرعة مما يورث له مضاعفات غير حميدة على صحته.

أما غضب الطفل وإنفعاله وعناده وميله للشجار بعد الخمس سنوات من عمره، فإنه يختلف في مظهره وسماته.

فالطفل في هذا العمر يكون قد كون ثروة لفظية من الكلمات والجمل غير قليلة ولذا فإنه يستخدم مخزونه اللغوي للتعبير عن غضبه، وذلك من خلال التلفظ بالكلام المعبر عن عدم رضاه وغضبه، بل قد يلجأ للتهديد والوعيد والشتم،وهي صفات، عصبية تدل على قلق وضيق وانفعال مرضي نفسي عند الطفل مؤشرًا على عصبية الطفل المزاجية.إلى أن الأمر يختلف في فهم حالات أخرى من سلوك الطفل عندما لا يعبر باللفظ عن عدم رضاه وتبرمه. ألا وهو عندما يكون رد الفعل عن الطفل سلبيًا أو انطوائيًا وإنزوائيًا وهذه الظواهر قد تكون مؤشرًا غير سليم نفسيًا للطفل، وذلك أن الانطواء والانزواء والانسحاب من قبل تدفعه لاحقًا في مرحلة الكبر من التركيز على ذاته ورفض الحياة، وهذا يقوده إلى نوع من أمراض العصاب، ألا وهو مرض الهروب من الحقيقة ومواجهة الواقع والتقوقع حول نفسه واللجوء إلى أحلام اليقظة كمخرج لمعاناته.

والنوع الأخير من سلوك الطفل يقوم على الكبت، وهو أسلوب سلبي ضار للطفل، بينما الأسلوب الأول الرافض المتمرد يعتبر صحيحًا وسليمًا لأنه جعل الطفل يفرغ من طاقته الإنفعالية وحرره من الشعور بالقهر والكبت كونه غير معبر عن عدم رضاه. ولغضب الطفل وعناده وميله للمشاجرة أسباب أخرى نذكر

منها الوضع الأسري الذي ينمو فيه الطفل.

فإذا كان جو الأسرة المحيط بالطفل مليء بالقلق والتوتر والإنفعال والصراع بين الأم والأب وعدم وجود نوع من التعاون بينهما، فإن هذا يخلق عند الطفل قلقًا واضطرابًا يجعله متوترًا غاضبًا ميالاً للشجار وسرعة الانفعال.

إن التوافق بين الأب والأم والحب والحنان والعطف، ينعكس على الطفل وسلوكه وتفكيره. وقد يجد بعض الأطفال أحد أبويه يميل إليه أكثر، فيستغل هذا الميل ضد أحد أبويه أو إخوانه، كما أنه إذا غضب الطفل وانفعل وحصل له استجابة من أحد أبويه لما يريد ورفض الآخر فإن الطفل بعد ذلك يكرر المشهد وحسب الحاجة من أي من أبويه، فهذا يرفض طلبه وذلك يلبيه بعد غضبه وعناده وتذمره، وتذمره. وتصبح هذه الحالة قاعدة بعد ذلك عند كبره بل قد يلجأ إلى ما هو أكبر من ذلك وبالذات مع من يعرف الطفل أنه سوف يحصل على ما يريد من جراء صراخه وعناده وغضبه وتكسيره أو رفضه وتبرمه وانطوائه. وبإيجاز فإن البحث العلمي الحديث يتجه لمعالجة التأثير المباشر لمختلف الحوادث التي يعيشها الطفل وأثر العلاقات المختلفة في وسطه الاجتماعي وخاصة طبيعة علاقته بالأم في تطور شخصيته

فما العمل إذًا؟

هذا هو السؤال الذي لا بد من الإجابة عليه. ليس هناك من شك في أن الإفراط في التدليل والإفراط في القساوة والحرمان هما السبب في جعل الطفل أن يسلك كما سطر أعلاه، إذًا لابد من إشباع حاجات الطفل دون تدليل، وخير الأمور الوسط، حاجاته الأساسية والأولية أولاً وليس كل ما يطلبه يستجاب له. ولكن لابد من الشرح وتوضيح الأمور للطفل ومعاملته بحنية ودفء وحنان وعطف بعيدًا عن التدليل والمغالاة في الحب والحنان، ولابد من غرس الشعور بالثقة بالنفس وإشعاره بالأمان والطمأنينة والدفء العاطفي والتقدير والإحترام العائلي والبيئي

وكذا غرس الشعور بالمسؤولية لدى الطفل ومن أن هناك واجبات عليه تجاه نفسه وأبويه وإخوانه ومجتمعه. كما أنه لا بد من تعليم وتعويد الطفل على مبدأ الثواب والعقاب.

وجعله يعتذر عندما يجب أن يعتذر ويشجع ويمنح الجوائز عندما يستحق ذلك. وللمزيد من الشرح نقول أن الطفل يتأثر بأبيه إن كان سلوكه حسنًا، والعكس إن كان سيئًا أي أن ينفعل لأتفه الأسباب ويثور إذا لم يأت شيء في موعده كالطعام مثلاً، أو لعدم إحضار شيء طلبه في حينه. إن ثورة الأب وغضبه وإنفعاله يولد لدى الطفل نفس السلوك كتقليد لأبيه في غضبه وثورته وإنفعاله.

وهو ما يلمس عند بعض الأطفال عندما يعاندون ويصرون على آرائهم بواسطة الصياح والشجار والمخانقة، وهذا السلوك الشاذ من قبل الطفل هو ما نعرفه بالانحراف السلوكي أو بالسلوك المرضي. ناهيك عن كون الضاد أحد مظاهر سلوك الطفل لإثبات ذاته وتميزه عن سواه من الأطفال ولجذب الأنظار نحوه من أقرانه.

وهناك نوح آخر من سلوك الطفل في عناده وغضبه ألا وهو شجار الطفل ورعونته. والشجار عند الأطفال له أسبابه ودوافعه، منها الغيرة والشعور بالنقص مثلاً، أو شعور الطفل بالاضطهاد من أحد إخوانه الكبار أو من أبويه، وكذا الشعور بالقلق إزاء حالات معينة لديه.

ولو أن الشجار يعتبر أحد الأسباب التي يثبت بها الطفل ذاته وقوة سيطرته وهي صفة محبذة طالما أنها تقود الطفل لمعرفة الحياة الإجتماعية وتمكنه من النجاح في الحياة مستقبلاً. وليس من شك أن شجار الطفل يخلق فيهم مفاهيم أخرى مثل الإحترام وتقدير الآخرين وحقوقهم وكذا يوضح لهم طرق العدل والحق والاحترام للواجب وعدم الكذب وممارسة الصدق، وفي نفس الوقت فإن شجار الطفل مع غيره يخلق لديه مفهوم الأخذ والعطاء مما يولد لديه مفاهيم المحافظة على حقوق

الآخرين، ولكن هذا لن يتأتى من ذاته إلا إذا تمكن الآباء من شرح الشجار ودوافعه ومظاهره وملابساته للطفل بأسلوب مبسط يستوعبه عقله وتوجيهه التوجيه السليم.

ومن الواجب فهمه على كل الآباء والمربين على حد سواه من أن الشجار لدى الأطفال هو أنه أي الشجار تعبيرًا عن عدم نضج الطفل ومن أن الطفل لا زال في مرحلة عدم إكتمال النضج الإجتماعي ومن أنه بحاجة للتعلم في الأخذ والعطاء اجتماعيًا.

opeikandl.com